تصورات ومصطلحات أساسية

في علم السكان

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

أهمّ مايختص به كل علم مصطلحاته وتصوراته وتحديد دلالاتها . هذا هو الأساس الذي ينبني عليه تقدم العلم ونماؤه . ونحن في هذا الحديث نريد أن نجلو التصورات الأساسية في علم السكان ومايقابلها من مصطلحات في اللغة العربية دفعاً للغموض وتحامياً للإبهام وإيضاحاً لبعض القضايا التي تثير كثيراً من المشكلات .

من أبرز هذه التصورات الأساسية العمر ونمو السكان والسياسة السكانية ومايشتمل كل من هذه القضايا عليه من أمور فرعية مهمة أيضاً .

- ١ -

العمر في اللغة بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة . وفي علم السكان مقدار الزمن الذي يمر على المرء منذ تاريخ ميلاده . وقد يقيَّد بالزمني تفريقاً له بين اعتبارات أخرى . ويقال له أيضاً **السن** ، وهي مؤنثة ، وهي عبارة عن مقدار العمر . وتفاد بالسنين وحدها أو السنين والشهور والأيام .

وإفادة العمر بالسنين وحدها غامضة . ولابد من التدقيق . فالإحصائيون لايذكرون إلا **السنين** المكتملة التي مرت على الشخص فيقال عندئذ العمر في آخر عيد ميلاد له ، على حين تعد شركات التأمين العمر في عيد الميلاد المقبل وفي كلتا الحالين يقال له العمر المكتمل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعمر المبلَّغ عند التعداد أو في الإحصاء الحيوي هو العمر المقرب للعدد الصحيح ولاسيّما إذا كان عيد الميلاد جدّ قريب .

وقد يصار إلى ضبط السن تجنباً للإبهام فذلك هو **العمر المضبوط** . ويقال في اللغة العربية للعمر المكتمل مُجَرَّمٌ ومُتَجَرِّمٌ . ونذر استعمال هذا اللفظ في الوقت الحاضر .

وفي الإحصاء يوزع السكان حسب أعمارهم فئات سنةً فسنة أو كل خمس سنين أو عشر أو غير ذلك ويفاد عدد كل فئة بالأعمار المكتملة . ثم إن هنالك تعبيراً شاع حديثاً وهو **العمر الفزيولوجي** وهو منوط بحال أعضاء المرء ونسجها .

ويرد في الكلام على الأطفال مصطلح **العمر العقلي** . وهو العمر الذي يكافىء تحصيلَ الطفل فيه مقيساً بروائز واختبارات مقدارَ تحصيل الطفل المتوسط في سن معيَّنة . هذا وتدعى نسبة العمر العقلي إلى العمر الزمني **نسبة الذكاء** .

وفي علم السكان تعبير يتعلق بالأعمار وهو جاذبية الأرقام المقربة أو المدورة . والأرقام الجاذبة هي الخمسة وأضعافها أي الأرقام التي تنتهي بالخمسة أو الصفر . فإذا سئل المرء عن عمره أجاب أحياناً برقم مقرب ينتهي بالصفر أو الخمسة . وكذلك إذا تحدث عن عمر شخص يعرفه أو عن شخص توفي أريد معرفة العمر الذي توفي عنه . وهذا هو مُشْعِرُ التراكم حول الصفر والخمسة . ولتصحيح الأعمار المتراكمة والمنحرفة عن الدقة زيادة أو نقصاناً طرق حسابية في إحصاء السكان .

ويَصِحُّ أن نستفيد من ظاهرة التراكم هذه في بعض الأعمار لدى تحقيق وفيات الأعلام في كتب التاريخ أو كتب الطبقات فنرجح عمراً على عمر عند الغموض والإبهام . مثال ذلك ماحققناه نحن في وفاة أبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الريحان البيروني . هذا العلامة الكبير معروف تاريخ ميلاده بالضبط وهو ٣٦٢ هـ . ولا يعرف تاريخ وفاته بيقين تام ، وذلك على خلاف أكثر العلماء الأعلام الذين تضبط تواريخ وفياتهم وقد تجهل تواريخ ولادتهم . ذكر أكثر المترجمين وفاته سنة ٤٤٠ . وأثبت هو نفسه في مستهل كتابه « الصيدنة » وهو آخر كتبه إنافته على الثمانين . إنّ سنة ٤٤٠ تجعل عمره الذي توفي عنه ٧٨ سنة . ولكنا وجدنا في كتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » لياقوت الحموي أن البيروني « أقام بغزنة حتى مات بها أرى في حدود ثلاث وأربعمائة عن سن عالية » وهذا غير ممكن لأنه يكون عندئذ قد عاش إحدى وأربعين سنة . وليست هذه السن عالية كما ذكر ياقوت . فذهبنا إلى أن النص ينبغي أن يكون في حدود ثلاث وأربعين وأربعمائة » حتى يكون قد أناف على الثمانين حين ألّف آخر كتبه ، وخالفنا في ذلك أكثر المترجمين[1] .

كذلك اختلف الرواة في وفاة بهاء الدين العاملي بأصفهان : هل كانت في سنة ١٠٣٠ هـ أو ١٠٣١ أو ١٠٣٥ . وقد جنح بعضهم إلى تأكيد أنها ١٠٣٠ باعتماد بعض الروايات ولكنا نؤثر سنة ١٠٣١ دفعاً لجاذبية الصفر[2] .

وليس معنى هذا أن الوفاة لاتقع في السنين التي تنتهي بالصفر أو الخمسة . ولكن يكفي عندنا على الغالب أن يكون في تاريخ الوفاة خلاف حتى نُؤثر التاريخ القريب من السنة المدورة .

---

(١) « آفاق البيروني العلمية » في كتاب « معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية »

(٢) « بهاء الدين العاملي وفكرة المتصل والمنفصل » في مجلة التراث العربي (العدد المزدوج ٢٥ و٢٦)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثمة مصطلحات إحصائية في علم السكان يجدر بيانها . **فالعمر المتوسط** للسكان هو المتوسط الحسابي لأعمارهم . وحسابه سهل كسائر المتوسطات الحسابية ويدل إذا كان منخفضاً على كثرة الأولاد والصغار في المجتمع الذي يقال له عندئذ مجتمع فتيّ أو شاب ، كما يدل إذا كان مرتفعاً على كثرة المسنين في المجتمع الذي يوصف حينئذ بالمسنّ أو المعمَّر . ومع ذلك فليس للعمر المتوسط كبير دلالة في علم السكان لأنه ضعيف الشفوف عن تركيب المجتمع . العمر المتوسط لشخصين مثلاً أعمارهما عشرون سنة وأربعون ثلاثون سنة . وهو لرضيع لم يتم السنة الأولى من عمره وآخر في الستين ثلاثون سنة أيضاً . وشتان أحوال هذين الثنائِيَّيْن .

كذلك في علم السكان مصطلح **العمر الوسيط** وهو السن التي تقسم عدد السكان شطرين متساويين أي عدد الذين تحتها يعادل عدد الذين فوقها . وهي أيضاً تشير إذا كانت منخفضة إلى كثرة الأطفال والأولاد الصغار . فالسادسة عشرة مثلا تكاد تقسم سكان المجتمع السوري شطرين متساويين .

وبالنظر إلى تفاوت الأعمار تحسب **نسبة الإعالة**. وهي تجمع عدد السكان الذين أعمارهم أقل من الخامسة عشرة وعدد السكان الذين هم في الخامسة والستين ومافوقها وينسب مجموعهما إلى عدد السكان ويضرب خارج القسمة بمائة . وهذه النسبة تتأثر بتركيب الشعب وبنيته . فان كان الشعب فتياً أي كثير الأطفال والصغار زادت نسبة الإعالة أي زاد عدد الأشخاص الذين يعولهم من هو في سن العمل مسؤولاً عنهم . وأفضل من هذه النسبة حساب **معدل النشاط** الاقتصادي العام وهو عدد الأشخاص ذوي النشاط الاقتصادي منسوباً إلى عدد السكان في سن العمل . ويحسب أيضاً معدل النشاط الاقتصادي للذكور ومعدل النشاط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاقتصادي للإناث . وهذا التفريق ضروري أحياناً لأن الأول أعلى من الثاني وأثبتُ ، إذيكون دخول الإناث في النشاط الاقتصادي ضئيلاً وهامشياً ومتقطعاً ، ولذلك كانت مقايسة معدل النشاط للذكور بين المجتمعات أصلح وأرشد . ومع ذلك فلا يجوز الاقتصار عليه لأن نشاط الإناث في بعض المجتمعات قويّ . وقد يحسب معدل النشاط الاقتصادي العُمْري لأحد الجنسين فينسب عدد العاملين في فئة من الأعمار إلى عدد أفراد الفئة . وغالبية هذه المعدلات تستند إلى قاعدة المائة .

هذا ما أردنا إيضاحه من بعض قضايا العمر ومصطلحاته الديمغرافية . ولكن نجد في باب التظرّف والأدب والخيال من يذهب في تحديد العمر الذي يعيشه المرء مذهباً غير ماذهبناه . فقد روي أن امرأ ساح حتى وصل إلى بلد أعجبه طيب أرضه وعذاوة هوائه ودماثة أهليه . ومر ذات يوم بمقبرة فقرأ على رجام القبور : فلان عاش ثلاثة أيام وفلانة عاشت شهراً وآخر عاش ثلاثة شهور وما إلى ذلك من أعمار نزرة ضئيلة . فراعه ماقرأ وأبهم عليه الأمر . فلما سأل كبير المدينة أجابه بأنهم لايثبتون من العمر إلا الأيام السعيدة من حياة الإنسان . وعندئذ أوصى أن يكتب على قبره : فلان ـ رحمه الله ـ انتقل من المهد إلى اللحد .

ثم إن للحسان حساباً آخر للأعمار فقد تزوّج رجل في السادسة والثلاثين من عمره فتاة في الثامنة عشرة أي كان عمرها نصف عمره عند الزواج . وبعد أربع عشرة سنة بلغ الزوج سن الخمسين وحَبَتْ هي نحو الثانية والثلاثين . ولما سئلت عمرها قالت عمري نصف عمر زوجي فأنا الآن في الخامسة والعشرين .

- ٢ -

العمر يبدأ بالولادة وإن كان بعض الصينيين القدماء يبدؤونه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالحمل . وهو ينتهي بالوفاة . مثله مثل الشمعة تشتعل حيناً وتفضي إلى الذبول والانطفاء . فالولادة والوفاة طرفا العمر . وهما حادثتان مفردتان وحيدتان للمرء . ولكنهما في المجتمع وظيفتان له بهما يجدد خلاياه كما تتجدد الخلايا في جسم المرء . وهما تتعلقان بشؤون شتى . تتعلقان بالبلوغ والزواج والصحة والاقتصاد وعليهما يتوقف مدى نمو المجتمع . وإذا انتُبه زيادةً عليهما للهجرة إلى البلد وللهجرة منه أمكن حصر الحدود التي تتحكم بنموّ المجتمع في أربعة .

نمو السكان العام = مواليد ـ وفيات + هجرة إلى ـ هجرة عن .

ولكل من هذه الحدود تعريفات دقيقة عند التسجيل والحساب تلزم مراعاتها . ويصعب تداول الأرقام التي تُعبّر كمياً عن هذه الحدود في كل مجتمع . كذلك تصعب الموازنة بين مجتمع وآخر باعتماد كل حد لاختلاف المجتمعات في عدد أفرادها . ولذلك يصار عادة إلى مايتوافر إبّان السنة من تلك الحدود في كل ألف نسمة من السكان . ولهذا يقسم الطرف الأيسر من تلك المعادلة على عدد السكان محسوباً في منتصف السنة أي في ٣٠ حزيران ويضرب الحاصل بالف فتحصل علاقة جديدة تفيد مايدعى معدل النمو العام :

$$\text{معدل النمو العام} = \frac{\text{مواليد} - \text{وفيات} + \text{هجرة إلى} - \text{هجرة عن}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠٠$$

ويقال لمعدل النمو العام معدل الزيادة العام وصفاً للمعدل او العامة وصفاً للزيادة . وقلما يكون هذا المعدل سالباً لإرباء المواليد على الوفيات على الغالب . وطرف العلاقة الايسر يمكن ان يكتب على الوجه الآتي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

$$\text{معدل النمو العام} = \frac{\text{مواليد} - \text{وفيات}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠٠ + \frac{\text{هجرة الى} - \text{هجرة عن}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠٠$$

أي معدل النمو العام = معدل النمو الطبيعي + معدل الهجرة

معدل النمو الطبيعي أو معدل الزيادة الطبيعية في السكان معناه قصر الحساب على المواليد والوفيات فحسب ، كأنما على المجتمع أن ينتزع من أحشائه عناصر جديدة يرمم بها العناصر البالية فيه .

والحد الآخر معدل الهجرة يدعى أيضاً ميزان الهجرة . فاذا غلب القدوم على المغادرة في باب الهجرة دعي ذلك فيض الهجرة وان نقص دعي غيض الهجرة .

معدل النمو الطبيعي ظاهري فقد يكون موجباً ومع ذلك يلحق بالمجتمع ضمور خفي سنشرحه بعد قليل .

هذا المعدل يكتب أيضاً على الوجه الآتي :

$$\text{معدل النمو الطبيعي} = \frac{\text{مواليد}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠٠ - \frac{\text{وفيات}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠٠$$

= معدل المواليد – معدل الوفيات

وهكذا يظهر أن معدل النمو الطبيعي هو الفرق بين **معدل المواليد ومعدل الوفيات**. معدل الوفيات هذا منسوب إلى عدد السكان في منتصف السنة كما سلفت الإشارة إلى ذلك . ولكن نحتاج غالباً في دراسة جيل من السكان وفي تتبّع عددهم في غمار الزمان إلى حساب احتمال الوفيات في كل عام من أعوام العمر أو في كل فئة من فئات الأعمار . وعندئذ نطلق على الاحتمال هذا **نسبة الوفيات** لامعدل الوفيات . وهي تحسب بقسمة عدد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوفيات في عمر من الأعمار خلال سنة كاملة على عدد أفراد الجيل أو الفوج الذين هم في ذلك العمر في أول السنة لافي منتصفها . ويمكن حساب احتمال الوفيات لكل فئة من فئات الأعمار الخمسية أو العشرية .

هنالك في علوم كثيرة مايدعى في فلسفة العلوم بالحتمية إذا كثرت الظواهر ، وهي حتمية احصائية (على خلاف اللاحتمية في الفيزياء الدقيقة) . ومعنى ذلك أن احتمال وقوع تلك الظواهر أو تواترها ثابت بثبوت الإطار الفيزيائي والحيوي والاجتماعي الذي تقع فيه . وهنا نسبة الوفيات في المجتمع لكل عمر من الأعمار ثابتة إلى مدى كبير حتى يطرأ على المجتمع تغيرات اجتماعية وصحية واقتصادية مُبيَنة . وبسبب هذا الثبوت إذا أخذ فوج أو جيلٌ من المواليد في سنة من السنين عدد أفراده ألف أو عشرة آلاف أو أكثر يمكن أن يطّبق عليهم نسب الوفيات الجارية في مجتمعهم وأن يتابع تطور الفوج وتدرج نقصانه حتى انقراضه التام . وهذا الكلام نظري من جهة لأنه يعتمد فوجاً عدده مفروض هو أضعاف المائة ، وواقعي من جهة ثانية لأنه يعتمد نسب الوفيات المأخوذة من واقع المجتمع الذي ينتسب اليه الفوج في حقبة مسماة من الزمن . ويعمد الباحث إلى إنشاء جدول يتلمس فيه تناقص الفوج سنة فسنة وذلك بالاستناد إلى نسب الوفيات العمرية ، وحساب عدد الوفيات في كل عمر ، وحساب الباقين قيد الحياة أو المعمَّرين في مراحل تلك الأعمار . وعندئذ تتحصل مصطلحات عمرية سكانية جديدة .

نلاحظ أولاً أن نسبة الوفيات تكون مرتفعة لدى المواليد كأن كل إنتاج لابد من أن يصيبه بعض التلف . وهي على ارتفاعها العام أكثر انخفاضاً في البلاد المتقدمة منها في البلاد النامية . وذلك أن صحة المواليد والعناية بهم تقع تبعتها على الأهل أولاً وعلى المجتمع ثانياً . ولهذا كلما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حسنت أحوال الأهل وأحوال المجتمع قل ارتفاع نسبة الوفيات بين المواليد ولاسيما في خلال السنة الأولى. ويقال لهذه النسبة نسبة **وفيات الرضع**. والرضيع من لم يحل عليه الحول . وهي معيار دقيق وحساس يشف عن مدى تقدم المجتمع في مضمار الحضارة . وتنخفض بسرعة بعد مرور العام الأول وهو العقبة الكأداء للمولود لتبلغ نهايتها الصغرى قبيل البلوغ ثم يتباطأ ارتفاعها تدريجاً في أثناء الأعمار التالية لترتفع في مرحلة الشيخوخة وتصل في نهايتها إلى مايدعى في اللغة العربية **أكلأ العمر** ـ بلغ الله القارئ أو المستمع أكلأ العمر هذا .

وفي كل عمر يحسب كما ذكرنا آنفا عدد مايقع فيه من وفيات . وتأتي سن يكون عدد الوفيات فيها أكثر منه في غيرها ماخلا وفيات المواليد . فهذه السن التي تختلف بعض الاختلاف بحسب تقدم البلاد أو تخلفها تدعى **العمر الطبيعي** أو **الأجل الطبيعي** . وكلا التعبيرين صحيح بحسب النظر إلى الحياة المنقضية او إلى الموت الداهم كما يقال لها في الإحصاء **الأجل المنوالي** ولا يوجد للفوج إلا أجل منوالي واحد . وقد انتبه العرب قديما إلى هذه السن التي تكثر فيها الوفيات وهي تحوم حول السبعين عندهم ودعوها معترك المنايا او العَشْر الدقّاقة الرقاب .

ثم إننا إذا اعتبرنا عدد الفوج من المواليد عشرة آلاف مولود مثلاً في سنة من السنين وطبقنا عليهم نسب الوفيات تلك في كل عمر من أعمارهم المتتالية فالسنّ التي يصبح عددهم فيها خمسة آلاف أي نصف عددهم الأول تدعى **الأجل المحتمل** ومعناه أن كل مولود منهم ذو احتمال واحد من احتمالين في أن يبلغ تلك السن . وهي عبارة أيضاً عن **الأجل الوسيط** الذي يقابل هنا في الفوج مادعوناه في المجتمع الحي أجمع بالعمر الوسيط . هذا ويمكن حساب الأجل الوسيط لكل فئة من فئات الأعمار لا للمواليد وحدهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثمة مصطلح بالغ الأهمية في علم السكان لدلالته على مدى تقدم المجتمع . مَثَلُه في ذلك مثل نسبة وفيات الرضع . وذلك أننا نعتمد جدول الوفيات الذي تصورنا إنشاءه آنفا والذي يضم عدد الوفيات في كل عمر وعدد الباقين قيد الحياة (ولذلك يسمى جدول الحياة أيضاً) فنحسب مجموع السنين التي عاشها فوج المواليد منذ ولادتهم حتى انقراضهم ونقسم هذا المجموع على عدد الفوج الأول وهو عشرة آلاف أي نعتبر ماكان يعيشه كل منهم من السنين لو قسمنا مجموع أعمارهم عليهم بالتساوي . وهذا ماندعوه نحن **بالأجل المتوسط** لأنه المتوسط الحسابي لما عاشوه جميعاً من السنين أو هو مايدعى في حساب الاحتمال **بالأجل المتوقع** . وهو يضم في رقم واحد جميع نسب الوفيات في مختلف الأعمار . فاذا كان كبيراً دل على تقدم الصحة والعناية بسأفراد المجتمع وعلى الازدهار الاقتصادي والاجتماعي . وينقص كلما تأخر المجتمع .

وفي العصر الحاضر نقرأ في الصحف والمجلات العربية أن العمر أو معدل العمر قد ازداد فندرك خطأ التعبير لأن أكلاً العمر أو حده الأقصى لم يزدد في الوقت الحاضر على ماكان قَبْلاً ، وانما ازداد الأجل المتوسط بسبب مكافحة الوفيات في مختلف الأعمار ولاسيما بين المواليد وفي السنين الأولى من حياتهم بنتيجة تقدم الطب على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي .

- ٣ -

نعود كما وعدنا آنفاً إلى نمو السكان الطبيعي وهو إرباء معدل المواليد على معدل الوفيات ، أي هو مقدار الزيادة السنوية في كل ألف نسمة . قلنا إن هذه الزيادة قد تكون ظاهرية فلا يطمئن اليها العلماء لأنها قد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تبطن ضموراً ونقصاناً يمكن تلمسها بالتدقيق والتفصيل . لنتصور مجتمعاً فيه خمسة ملايين أنثى سيدة وآنسة بين سن الخامسة عشرة وسن الثلاثين وفيه أربعة ملايين و ٧٠٠ ألف بنت دون الخامسة عشرة . ولو فرضنا أن هؤلاء البنات دون الخامسة عشرة كبرن وبلغن سن الزواج ولم يهلك أحد منهن كان حتماً أن ينقص عدد المواليد في المستقبل بعد مضي خمس عشرة سنة حين تحل هؤلاء البنات في مكان أولئك الأمهات . ولذلك لايقتصر الباحث على النمو الطبيعي لمعرفة حقيقة تزايد السكان ، بل ينقّب ويعمّق النظر فيتناول الاناث بين حدي قدرتهن على الحمل أي بين ١٥ و ٤٩ سنة على التغليب وينظر في تعرضهن للزواج وللحمل وللولادة وللوفاة في مجتمع مسمّى . كل ذلك في جداول إحصائية ترتكز على قاعدة الألف أو عشرة الآلاف أو ماجرى مجرى ذلك ، ثم يحسب بالاستناد إلى تلك الجداول كم تخلّف ألفُ أنثى في ذلك المجتمع من الأولاد ذكوراً واناثاً . هذا هو مايدعى **بالخصب الجمعي** . ويُفَضَّل الاقتصار في الحساب على عدد الاناث التي تخلفهن ألف أنثى فتلك هي نسبة **التكاثر الصافي** الانثوي . وقد تُبَسّط الأمور فتعتبر الأم في الأحوال الاجتماعية والديمغرافية الجارية هل تخلف وسطياً بنتا واحدة تحل محلها فمعنى ذلك أن المجتمع ثابت لاينقص ولايزيد أو هي تخلف أكثر من بنت واحدة فالمجتمع متزايد أو أقل من بنت فالمجتمع متناقص ولو أربى عدد المواليد على عدد الوفيات . تلك هي نسبة **تعويض الجيل** الأنثوي أو مايدعى نسبة **الإحلال** احلال البنت في محل أمها حسب التعبير الانكليزي . ونستطيع أن نقرب للأذهان حقيقة طبيعة المجتمع في ثبوت عدده أو ازدياده أو نقصانه . إذا كانت الأم تخلف بنتاً واحدة تحل محلها في أحوال راهنة واحدة فمعنى ذلك أنها تخلف وسطياً أكثر من ولدين ذكر وأنثى ، إذ كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عدد المواليد الصبيان أكثر بقليل من المواليد البنات (نسبة الذكورة إلى الأنوثة بين المواليد ١٠٥ إلى ١٠٠) وبتعبير بسيط واقعي بعد النظر إلى وفيات الرضع والأطفال يكون المجتمع ثابت العدد في هيكله الأساسي إذا كان متوسط عدد الأولاد في الأسرة ثلاثة ، فإذا زاد على الثلاثة كان متزايداً وإذا نقص عنه كان متناقصاً .

- ٤ -

وعلى وجه العموم يدخل النظر في قضايا السكان المختلفة وفي أمر ازديادهم وثبوت عددهم ونقصانه ضمن سياسة الدولة الديمغرافية أو السكانية . فاذا كان اتجاه السياسة نحو نمو السكان قيل لها **نصيرة زيادة السكان** ، وإذا كان اتجاهها نحو ضبط النسل وعدم زيادتهم قيل لها **سياسة مَلْتُسيَّة** نسبة إلى القس الانكليزي المعروف ملتس أو سياسة ضابطة الزيادة .

ومن التدابير التي تحفز على زيادة المواليد أو تخفيف تناقصهم كما هو حاصل في فرنسة مثلاً الإعانات وهي إعطاء الأسرة مبلغاً من المال يتجدد دورياً ، والمنح وهي إعطاء الأسرة مبلغاً من المال مرة أو أكثر عند الزواج . ومن المنح منحة الأمومة أو منحة الأولاد وسلفة الزواج . ومن الإعانات تخفيف الضرائب عن رب الأسرة .

ومن التدابير التي رسمت لخفض عدد المواليد في البلاد النامية برامج السكان التي تشتمل على تعليم تنظيم الأسرة وعلى خدمة تنظيم الأسرة . وهما يتمّان إما مستقلين وإما بالاشتراك مع برامج الصحة ، ومع برامج الرعاية الاجتماعية ، ولاسيما برامج رعاية الأمومة وصحة الأطفال .

وفي تنظيم الأسرة تبرز **الوالدية المسؤولة** أو **الوالدية المنظمة**، وهي أن يكون للأبوين موقف واع تجاه نسلهما. وقد يختلف عدد الأولاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي يتوقان إلى مجيئه وينشدانه عن عدد الأولاد الأمثل الذي يرتئيانه لمجتمعهما . فقد يرغب الزوجان في عدد من الابناء لأنفسهما وحسب أحوالهما . وهذا العدد المنشود أو المرغوب فيه غير ذلك العدد الأمثل للمجتمع عندهما . وقد يتطابقان . ذلك أن الرغبة في الذرية لاتتحقق دائماً بإرادة الزوجين . فقد رأينا بين الأزواج من ليس لهم مولود أولهم ولد أو ولدان دون العدد المنشود على حين رأينا من كثرت ذريتهم حتى ضاقوا بها ذرعاً . فلهؤلاء أُعدت جمعيات تنظيم الأسرة رفقاً بهم .

وكلمة **تنظيم الأسرة** كلمة لائقة تشير إلى اتخاذ الوسائل الواقية من الحمل من أجل إقامة فترات زمنية مناسبة بين مجيء الأولاد . وهي كلمة حلت محل لفظ **ضبط النسل** الذي يقابل في الانكليزية لفظ Birth control .

والحجج التي يقدمها أنصار الحد من الذرية متعددة . يأتي في طليعتها ازدياد سكان العالم المطّرد وانحداد مساحة الأرض التي يعيش عليها الناس . وقد بلغ عدد سكان العالم في ١١ / ٧ / ١٩٨٧ نحو خمسة مليارات نسمة وهم في ازدياد دائم متسارع . فإذا زاد عدد الناس على مقدار القوت والثروة المُتَهَيِّئَيْن استدعى ذلك وقوع النزاع بينهم ونشبت الحروب . ثم إن الإنسان ذو فكر وتبصر في العواقب . وهو كلما رقي حاول السيطرة على سلوكه وعمد إلى ضبط تصرفه وغرائزه ضبطاً معقولاً . وإذا كانت الفترات الزمنية بين الأطفال كافية غدت عناية الأمهات بهم أكبر وتوفّرهن عليهم أسهل وتعهّدهن لهم أكثر وتحسنت صحة الأمهات والأطفال بدلاً من الإرهاق والنصب والضنى وقلت النفقات المهدرة بقلة وفياتهم .

بيد أن وراء هذه الحجج تكمن اعتبارات معارضة قوية ومتعددة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعضها ديني وبعضها قومي وبعضها آتٍ من الموقف الاشتراكي الـذي يرجع في أصله إلى آراء كارل ماركس وأنغلز .

وأحياناً يغضّ النظر في هذه القضايا عن أحوال البلاد المتقدمـة التي بعضها غاصّ بالسكان ويُنحى باللائمة في زيادة الذرية على البلاد النامية لانخفاض مستواها المعاشي والاقتصادي وتأخرها عن بلوغ افرادهـا مستوى حياة كريمة .

وقد لوحظ بوجه عـام أن الكائنـات الحيـة من نبـات أو حيوان أو بشر إذا واءمتها البيئة نمت أفرادها وتأخر تناسلها وتبـاطـأ على حين أنـه إن ساءت الأحوال المحيطة بها جنحت إلى سرعـة التخليف وكأن في ذلـك نزوعاً إلى ضمان بقاء النوع .

ونحب أن نلم هنـا في الختـام بـاتجـاهين اثنين متنـاقضين في التراث العربي إلماماً خاطفاً مرضاة للأدب والشعر .

يرغب الاتجـاه الأول في كثرة البنين طلبـاً للنصرة والجـاه والقـوة والدعم وقد استشهد الجاحظ لذلك في كتابه « الحيوان » بقول الأشهب بن رُمَيْلة[٣] :

قـال الأقـارب لاتَغْرُرْك كثرتُنـا وأغنِ نفسـك عنّـا أيهـا الرجـل
عـلٌ بَنِيّ يَشُـدُّ الله كثرتَهم والنَّبعُ يَنْبُتُ قضبـانـاً فيكتهـل

ويقول الآخر (وهو أكثم بن صيفي) الذي يشكو صغر أولاده :

إن بنيّ صبيـة صيفيـون أفلـح من كان لـه رِبْعيّـون

ويصور الاتجاه الثاني سجلّ المتاعب التي يصـادفهـا المرء في الحيـاة . وكأن حَبَل النسـاء حَبْل أذى متصـل يستجر تلـك المتـاعب إذ يقـول صـاحب اللزوميات :

(٣) ج١ ص ١٠٨ ، ١٠٩ طبعة مصر ١٩٣٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أرى حَبَـلاً حـادثـاً في النسـا ... ء حَبْـل أذاة بهن اتصـل
أتى ولـد بسجـلّ العنـاء ... فيـاليت وارده مـا وصـل
وإن نظرتـه خطـوب الـزمـا ... ن عُضَّ بنـاب شـديـد العصـل
وريـع من الغِيَر الطـارقـا ... ت بـالرمـح ضَرَّ وبـا لسيف صـل
وقـال لـه صـلّ داعي الهـدى ... وقـال لـه ملحـد لاتصـل
وشب وشـاب وأفنى الشبـاب ... وسقيـاً لـه من خضـاب نصـل
ومن بعـد ذاك يجيء الحمـا ... م فـانظر على أيّ شيء حصـل
فيـا راحـة النفس عنـد المما ... ت ان كان هـذا الحساب انفصل

استعمال المعري لحرف الشرط الجازم إن الذي يفيد الشك في آخر الأبيات إشارة إلى ان متاعب المرء هيهات أن تقف عند الموت بل وراء الحياة حساب آخر .

على أن قضية النسل والرغبة فيه والرغبة عنه قضية قديمة حديثة ، محلية وقطرية وعالمية ، ومشكلة متواصلة الحلقات متفاوتة الاتجاهات . ولا يكاد يخلو مؤتمر سكاني عالمي في العصر الحاضر من طرحها طرحاً يتصل بسياسات اقتصادية ومواقف سياسية وغيرها . ومن المعلوم أن موقف الشرق الاشتراكي يختلف عن موقف الغرب الرأسمالي في النظر إلى مذهب ملتس وكتابه الذي أثار المشكلة وهو « بحث في مبدإ السكان » . ويتعارض الموقفان أشد التعارض فالأول يرى المذهب رجعياً متخلفاً والثاني يراه علميا راهنا . وعلى الرغم من تعارضهما نجدهما يتسمحان في السياسة السكانية بالنظر إلى أحوالهما الديمغرافية . ولا أشد دلالة على ذلك من موقف فرنسة الرأسمالية التي تروّج ماستطاعت لزيادة النسل فيها وموقف الصين وكوبا الاشتراكيتين اللتين تضغطان لضبطه وللحد منه . وكأن الحياة ومشكلاتها ومصاعبها تعدّل بعض الشيء من الموقف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النظري المتصلب لكلا الفريقين . يذكرنا هذا التعديل نكتة قرأناها للعلامة المشهور بهاء الدين العاملي في كتابه « الكشكول » وهي أن يهودياً وجد مسلماً يأكل شواءً في نهار رمضان . فطلب اليه ان يطعمه فقال له المسلم : ياهذا ! إن ذبيحتنا لاتحل على اليهود . فقال : أنا في اليهود مثلك في المسلمين . »

وقد يتغنى المرء تجاه مشكلة يصادفها ويسائل نفسه ويُضمِّن غناءَه الجواب فيقول :

تحيَّرت في الانسان لم أدْرِ كنهه ... لعمري غموض كنهه وخفاء
نحيط باجزاء الأمور وإنما ... مصائرها في العالمين عماء
فياليت شعري هل أرى مثلما يرى ... حكيم له في المكرمات عطاء
« على الوُلْدِ يجني والد ولو انّهم ... ولاة على أمصارهم خطباء »
أم الأمر تثقيف وعلم وكثرة ... ومَجد له فوق النجوم علاء
إذا الليل في الأوطان أرخى سدوله ... فلي في شروق الشمس بَعدُ رجاء

حاشية أولى : السمات السكانية المتحصلة لسورية في مطلع الثمانينيات :

عدد السكان ٩,٠٥ ملايين ، المساحة ١٨٥ ألف كم٢ ، الكثافة السكانية ٤٩ في ١ كم٢

معدل المواليد ٤٧ بالألف
معدل الوفيات ٠٨ بالألف (؟)
معدل النمو الطبيعي ٣٩ بالألف
نسبة وفيات الرضع ٥٠ بالألف
معدل الخصب الجمعي ٨,٤ للأم الواحدة

من هم دون الخامسة عشرة يؤلفون ٤٩ بالمائة من مجموع السكان أي إن العمر الوسيط يناهز السادسة عشرة .

الأجل الوسيط أو المحتمل ٧٠ سنة
الأجل المتوقع أو المتوسط للمواليد ٦٤ سنة

في مجال الإعالة كل شخص ذو نشاط اقتصادي يقابله أربعة أشخاص في خارج النشاط الاقتصادي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حاشية ثانية : لما كان علم السكان علما حديثا أدرجنا فيما يأتي المصطلحات التي تضمنها البحث في اللغات العربية والفرنسية والانكليزية

age	âge	العمر أو السن
	âge chronologique	العمر الزمني
age at last birthday	âge au dernier anniversaire	العمر في آخر عيد ميلاد
age at next birthday	âge au prochain anniversaire	العمر في عيد الميلاد المقبل
stated age,reported age	âge déclaré	العمر المبلغ
exact age	âge exact	العمر المضبوط
complete years	années révolues	السنون المكتملة
	années accomplies	
physiological age	âge physiologique	العمر الفزيولوجي
mental age	âge mental	العمر العقلي
intelligence quotient	quotient intellectuel	نسبة الذكاء
heaping digit preference	attraction des nombres ronds	جاذبية الارقام المقربة أوا لمدورة
mean age	âge moyen	العمر المتوسط
median age	âge médian	العمر الوسيط
economic dependency	rappart de dépendance	نسبة الاعالة
ratio	économique	
economic activity rate	taux d'activité économique	معدل النشاط الاقتصادي
survivors	survivants	الباقون قيد الحياة أو المعمرون
infant mortality	mortalité infantile	وفيات الرضع
life span	longévité	أكلأ العمر
normal age at death	vie normale	العمر الطبيعي
	âge normal au décès	أو الاجل الطبيعي
modal age at death	âge modal au décès	أو الاجل المنوالي
median length of life	vie médiane	الاجل الوسيط
probable length of life	vie probable	الاجل المحتمل
life table	tables de mortalité	جدول الوفيات أو جدول الحياة
expectation of life	durée moyenne de la vie	الاجل المتوسط
life expectancy	espérance de vie	أو الاجل المتوقع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

total fertility	fécondité cumulée	الخصب الجمعي
net reproduction rate	taux net de reproduction taux de reproduction nette	نسبة التكاثر الصافي أو الصافية
replacement index	indice de remplacement	مشعر تعويض الجيل مشعر الاحلال
sex ratio	taux de masculinité	نسبة الذكورة الى الأنوثة
migration	migration	الهجرة
immigration	immigration	الهجرة الى البلد
emigration	émigration	الهجرة من البلد
birth rate	taux de natalité	معدل المواليد
mortality rate death rate	taux de mortalité	معدل الوفيات
probabilities of dying, death probabilities	quotient de mortalité	نسبة الوفيات أو احتمال الوفيات
growth rate	taux d'accroissement	معدل نمو السكان (العام)
natural increase rate	taux d'accroissement natural	معدل النمو الطبيعي
migration rate	taux de migration	معدل الهجرة
balance of migration net migration	solde migration	ميزان الهجرة
net immigration	immigration nette	فيض الهجرة
net emigration	émigration nette	غيض الهجرة
population policy	politique démographique	السياسة الديمغرافية أو السكانية
family planning	planification de la famille	تنظيم الأسرة
responsable parenthood	parenté responsable	الوالدية المسؤولة
planned parenthood	parenté planifiée	الوالدية المنظمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net